الفصل السّابع

الأولاد حقوقهم وتربيتهم وواجباتهم

التمهيد:

وجوب رعاية الأطفال في الإسلام

يمكن القول فيما يتعلق بمرحلة الطفولة، أن بدء السعي عن طريق إرساء بذور الإيمان الواعي يتزامن مع ظهور الإدراك العقلي للطفل، الذي نحسبه يتم في حدود السنة السابعة من عمره. ودليلنا في ذلك التوجيه النبوي الشريف، ببدء توجيه الأطفال لأداء فرض الصلاة عند هذا العمر بقوله ﷺ: «**مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**». حيث ينتقل إدراك الطفل عند ذلك من المفاهيم البسيطة المجردة، إلى المفاهيم المرتبطة بالواقع الذي يعيشه، فيميز الممكن من غير الممكن، والخيالي من الواقعي، ليتطور فيما بعد، وعند اقترابه من سن البلوغ إلى إدراك المفاهيم المرتبطة بالغيبيات والمستقبل.

وفي ضوء هذا التطور، يتم بناء الطفل سلوكياً ومعرفياً.

البحث الأول:

تحديد النسل بين العلم والإسلام

لقد أثار التزايد السكاني الهائل مخاوف الاقتصاديين والمفكرين على

مستقبل الأجيال المتعاقبة، وأثار قلقهم حول إمكانية تأمين الغذاء والسكن والحياة الكريمة لها، فانبعثت منهم فكرة تدعو إلى تحديد النسل، ليبقى عدد السكان متلائماً مع الإمكانيات[١].

ولقد عرفت قديماً محاولات الإنسان لتحديد نسله، باتباع بعض الطرق المانعة لحصول الحمل أو المجهضة له، ونفذت تلك الطرق لغايات مختلفة من قبل فريق من الناس.

أما الدعوة إلى تحديد النسل على نطاق واسع في مجتمع أو دولة ما، فقد بدأ في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وكان أول من دعا إليها في إنكلترة القسيس الاقتصادي مالتوس الذي نشر مقالاً سنة ١٧٩٨م تحت عنوان: (تزايد السكان وتأثيره في تقدم المجتمع في المستقبل) وكان مالتوس يرمي إلى منع الحمل بالوسائل الأخلاقية مثل الرهبنة وتأخير الزواج، وذلك حتى لا يزداد السكان بشكل يؤثر على معدل الدخل القومي للفرد.

ثم قام كتّاب من أوروبا وأميركا بالدعوة إلى تحديد النسل لأغراض اقتصادية، حتى عمت الدعوة أرجاء العالم، فدعا إليها أناس من البلاد العربية والإسلامية أيضاً حتى أضحت دعوة عالمية.

ولقد انشرح كثير من الناس لفكرة تحديد النسل، منهم لظرفه ووضعه الخاصين، ومنهم لما تحمله من مظاهر اليسر وتخفيف الأعباء والتكاليف عن الزوجين وإمكانية رعاية النسل القليل بشكل أفضل.

إن تحديد النسل بشكل إفرادي ولظروف اضطرارية أو محرجة خاصة بأصحابها، يدعى تنظيم النسل أو تنظيم الأسرة، ولا يعني رقماً معيناً من الذرية لأسر المجتمع، مهما كانت إمكانيات الأسرة، وسأفرد له بحثاً خاصاً مبيناً فيه الدوافع المقبولة طباً وشرعاً. أما الدوافع المرفوضة فسأبينها في هذا المقال، مع بيان مثالب حركة تحديد النسل.

---

(١) الطب النبوي والعلم الحديث: للدكتور محمود ناظم النسيمي ج ٢/ ٥٥ - ٦٠ و ٧٢-٧٥، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

الإنجاب هدف رئيسي:

يهدف وجود الغريزة الجنسية إلى غاية التناسل وبقاء النوع. أما الرغبة الجنسية المنبعثة عن تلك الغريزة وكذلك اللذة المرافقة لإروائها فإنهما وسيلتان مشوقتان على تحقيق المقصود من وضع تلك الغريزة. ولا بد للتناسل من ضوابط تقي المجتمع من الفوضى الجنسية ومساوئها الخلقية، وتحدد المسؤولين عن حضانة الذرية ورعايتها وتربيتها، ولذا شرع الزواج. فللزواج هدفان رئيسيان: أولهما إرواء الميل الجنسي بطريقة مشروعة، وثانيهما هو الذرية التي تحقق بقاء النوع الإنساني واستمرار الأسرة ونماء الأمة وبقاءها. وأياً من الهدفين قصد كل من الزوجين في المناسبة الجنسية فإن له أجراً، أي سواء نوى إعفاف نفسه وزوجه بضبط الغريزة الجنسية في مجال الحلال، أو ابتغى النسل الصالح الذي يخلفه ويزيد في تعداد أمة الإسلام. ففي نية إرواء وضبط الغريزة الجنسية في مجال الحلال، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**وفي بُضع أحدهم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**».

ولقد نبه الله تعالى المؤمنين إلى غاية الإنجاب عند إرواء الميل الجنسي، وذلك في الآية التي أباح فيها المعاشرة الزوجية ليلة الصيام، فقال سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ . . .﴾[1] أي: اقصدوا ما قدره من الولد بسبب المناسبة.

قال القرطبي: قال ابن عباس ومجاهد والحاكم وابن عيينة وعكرمة والحسن والسدي والربيع والضحاك: معناه: وابتغوا الولد.

وأشار الله تعالى إلى غاية التناسل أيضاً في قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

حَرْثُكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١] ففي قوله تعالى: ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ تشبيهٌ، فالنساء مزرع ومنبت للولد، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ أقوال: قال القرطبي: أي قدّموا ما ينفعكم غداً، فحذف المفعول، وقد صرح به في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾[٢] فالمعنى قدّموا لأنفسكم الطاعة والعمل الصالح، وقيل: ابتغاء الولد والنسل، لأنّ الولد خير الدنيا والآخرة، فقد يكون شفيعاً وجنة. ثم ذكر القرطبي أقوالاً أخرى. أما الرازي فقد قال في تفسير ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾: أي لا تكونوا في قيد قضاء الشهوة، بل كونوا في قيد تقديم الطاعة.

ولقد مدح الله تعالى أولياءه المؤمنين بسؤال الزوجة والذرية الصالحة فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٣].

وحكم الإسلام بأن الولد الصالح سبب من أسباب تجدد الثواب واستمراره للأبوين بعد وفاتهما، فقال الرسول ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاثٍ: إلّا من صدقة جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»[٤].

أضف إلى ذلك أنّ الإنسان يجد غالباً في ذريته، من يعطف عليه ويعينه في مرضه وهرمه.

نماء الأمة بنماء أسرها:

كل أمة لا تزيد مواليدها على وفياتها أو تتساوى فيهما، تكون أمة فاشلة في الحياة محكومة بالفناء والاضمحلال، لأن كل كارثة تصيبها من حرب أو قحط أو جائحة وباء أو ما شابه تظهر إفلاسها، وتؤخرها في مضمار الحياة، أو توردها الهلاك عاجلاً أم آجلاً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٠.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.
(٤) صحيح الجامع الصغير برقم ٧٩٣، وهو في صحيح مسلم، انظر المختصر رقم ١٠٠١.

ومن البديهي أن كثرة النسل أو النشئ لا تكون مضمونة محققة إلا بالزواج الشرعي النظامي، الذي يشعر فيه الزوجان بالمسؤولية تجاه نسلهما، فلا بد من تشجيع الزواج وتذليل عقباته وتسهيل الحياة الكريمة للأسر الناشئة. وذلك لتحظى الأمة بثمرات الزواج الحية التي تحفظ للأسرة الاستمرارية وللأمة البقاء. قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (تحديد النسل وقاية وعلاجاً): «السعي إلى إيقاف النسل أو تقليصه مناف لأصل ما شرع النكاح من أجله، ولكن الشارع الحكيم ﷺ رخّص للزوجين في محاولة جزئية وفردية للحد من النسل نظراً للظروف أو مصالح شخصية قد تكتنفها أو تكتنف أحدهما، أما الحكم العام فقد بقي على أصله وهو: المنع».

وقال: «إن للأفراد أن يتخذوا وسائلهم إلى تحديد النسل إذا كان العدد الذي يقابلهم من أعضاء البلدة أو الأمة يقعون موقع الكفاية في العمل على زيادة النسل ويقومون بواجبهم في ذلك. فأما إن سرت العدوى حتى شملت أفراد الأمة كلها أو شملت معظمهم، بحيث أصبح الباقون قلة لا تقع موقع الكفاية في تحقيق مصلحة الجماعة، فإن الكل يتلبسون بالإثم بسبب ذلك. وإذا أمعنت فيما أقول عرفت أن هذا - كما يقول الإمام الشاطبي - لون من ألوان الغرض الكفائي».

وقال: «وما ينبغي أن يفوت كل داع حصيف حر في هذه الأمة أن الغربيين إنما يبثون هذه الدعوة - تحديد النسل - فيما بيننا حذراً من أن يقود التفوق السكاني في منطقة الشرق الأوسط وسائر العالم الإسلامي إلى تفوق في استخدام الآلة والاطلاع في العلوم، فيتحرر بذلك من سلطان الغرب، بل يمتلك زمام القيادة في إدارة دولاب اقتصادي وسياسي يقود المنطقة إلى سدة الريادة في العالم...».

ويفضح «آرثر كورمان» مقاصد الأوروبيين في إلحاحهم على المسلمين بضرورة تحديد النسل، فيقول بكل صراحة: «إن أهل الشرق سوف لا يلبثون إلا قليلاً حتى يطلعوا على حقيقة هذا الدجل لأهل الغرب لأنه استعمار من نوع

جديد يهدف إلى دفع الأمم غير المتقدمة، ولا سيما الأمم السوداء، إلى مزيد من الذل والخسف حتى تتمكن الأمم البيضاء من الاحتفاظ بسيادتها».

البحث الثاني:

أحكام المولود في الإسلام

وللمولود أحكام إذا وُلِدَ، وهي كالتالي:

١ - الدعاء لمن رزق بمولود بالبركة وتحنيكه بتمر بعد ولادته؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم»[(١)] والتحنيك: هو أن يمضغ التمر ثم يدلك بحنك الصبي داخل فمه وهذه سُنّة طيبة هجرت عند بعض الناس.

٢ - الأذان في أذن المولود: فعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: «رأيتُ النبيَّ ﷺ أذَّن في أذن الحسن حين ولدتْهُ فاطمةُ بالصلاة». وروي عن عمر ابن عبد العزيز: «كان يُؤذِّنْ في اليمنى».

٣ - التسمية الطيبة: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «ولد لي غلام، فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ فسماه إبراهيم، فحنكه بتمرةٍ، ودعا له بالبركة، ودفعه إليّ، وكان أكبر ولد أبي موسى».

وفيه دليل على تعجيل تسمية المولود غداة يولد، قال رسول الله ﷺ: **«الغُلاَمُ مُرْتَهَنٌ بعقيقتِهِ تُذْبَحُ عنهُ يومَ السّابعِ، ويُسمى، ويُحْلَقُ رأسُهُ»**[(٢)].

وفي الحديث دليل على تسمية المولود اليوم السابع من ولادته ومن سماه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة ب ٣١، رقم ١٠١، وذكره في المشكاة برقم ٤١٥٠، وفي مسند الإمام أحمد ج ٦/ ٢١٢.

(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٤١٨٤، وعزاه للترمذي والحاكم، انظر الإرواء (١١٦٥).

في أول يوم أو في سابع يوم كل هذا جائز وفي الأمر سعة. قال ﷺ: «**أحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ: عبدُ اللهِ وعبدُ الرحمٰن**»(١).

وفي هذا دليل على استحباب التسمية بهذه الأسماء أو بما ورد عن النبي ﷺ والبعد عن الأسماء القبيحة والأسماء المعبدة لغير الله.

٤ - العقيقة: وهي نُسُكُ المولود، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «**عن الغُلَامِ شَاتَانِ مكافِئَتَانِ، وعن الجارية شاةٌ**»(٢).

قال رسول الله ﷺ: «**الغُلَامُ مرتَهِنٌ بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويسمى ويُحْلَقُ رأسُهُ**»(٣). واستحب أهل العلم ذبح العقيقة يوم السابع من ولادة المولود فإن لم يتهيأ فيوم الرابع عشر فإن لم يتهيأ فيوم إحدى وعشرين يأكل منها ويهدي ويتصدق: ومن لم يُعق عنه في صغره لا بأس أن يُعق عنه أو هو يعق عن نفسه. ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ويكون ذلك في اليوم السابع فإن لم يكن ففي أربع عشرة، فإن لم تفعل ففي إحدى وعشرين». وتسن عن السقط إذا كان سقوطه بعد نفخ الروح فيه. وذلك إذا مضى على حمل أمه بعد أربعة أشهر وعلى هذا لا يكون عن السقط عقيقة قبل نفخ الروح فيه. وعلى الوالدين الصبر والاحتساب عند موت أحد الأولاد لنيل الأجر. قال رسول الله ﷺ للنساء: «**ما منكنّ امرأةٌ يموتُ لها ثلاثةٌ من الولد إلا كانوا حجاباً من النار**، فقالت امرأة: واثنان؟ فقال ﷺ: **واثنان**»(٤).

٥ - حلق الرأس والتصدق بوزن الشعر فضة على المساكين وذلك في اليوم السابع، قال ﷺ: «**الغلام مُرْتَهِنٌ بعقيقتِهِ، تُذْبَحُ عنه يومَ السابعِ، ويُسَمَّى، ويُحْلَقُ رأسُهُ**»(٥).

---

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ١٦١، وعزاه لمسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجه.
(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٤١٠٥، وعزاه لأحمد ولأصحاب السنن الثلاثة.
(٣) صحيح الجامع الصغير برقم ٤١٨٤.
(٤) صحيح الجامع الصغير برقم ٥٨٠٥، وعزاه لأحمد والشيخين.
(٥) تقدم تخريجه.

وقال ﷺ لما ولدت فاطمة الحسن: «**احلقي رأسَهُ وتصدّقي بوزن شعرهِ فضةً على المساكين**»(١).

عن أبي رافع رضي الله عنه قال(٢): «لمّا ولدتْ فاطمة رضي الله عنها حسناً قالت: يا رسول الله ألاَ أعقّ عن ابني بدم؟ قال: **لا، ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزنه من الوِرق على الأوقاص أو على المساكين**».

وقول النبي ﷺ لها: «**لا**» أراد أن يكون النبي ﷺ هو الذي يعق عنه فإنه عق عن الحسن والحسين بكبشين.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين بكبشين أملحين»(٣).

٦ - الختان: وهو قطع الجلدة التي تغطي الحشفة لأنه يجتمع فيها الوسخ وليتمكن من الاستبراء من البول، ومذهب الجمهور أنه واجب بالنسبة للذكور، قال الرسول ﷺ: «**الفطرةُ خمس: الختانُ، الاستحدادُ، قصُّ الشّارب، تقليمُ الأظافر، نتفُ الإبط**»(٤).

٧ - على الزوجين أن يعيذا المولود من شر العين فالعين حق. قال النبي ﷺ: «**العينُ حقٌّ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقتهُ العينُ**»(٥). وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يعوّذ الحسن والحسين: «**أعيذُكما بكلماتِ الله التّامَّةِ مِنْ كُلِّ شيطانٍ وهَامّ، ومِنْ كُلِّ عينٍ لامّةٍ**، ويقول: **إنّ أباكما كان يُعَوِّذُ بهما إسماعيل وإسحاق**»(٦).

٨ - إذا بدأ الطفل ينطق كان السلف يعلمون أبناءهم الخير والنطق بكلمة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، الإرواء، ج ٤/ ٤٠٢، رقم ١١٧٥، وحسّنه الشيخ ناصر.
(٢) قال الشيخ ناصر في الإرواء ج ٤/ ٤٠٣: أخرجه الإمام أحمد، وحسَّنه.
(٣) صحيح النسائي برقم ٣٩٣٥.
(٤) صحيح الجامع الصغير برقم ٤٢٨٨ و٥٩٠٦.
(٥) صحيح الجامع الصغير برقم ٤١٤٧.
(٦) صحيح سنن الترمذي برقم ١٦٨٣.

التوحيد (لا إله إلا الله) وإذ كبروا حفّظوهم القرآن، فلا يبلغ بعضهم العشر سنوات إلّا وهو حافظ للقرآن.

٩ - يجب على الوالدين عدم الاعتراض على قضاء الله وقدره إذا رزقهما إناثاً ولم يرزقهما الذكور والعكس، فالله عليم حكيم وليبشّرا بالأجر، قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ البَنَاتِ بشيءٍ فأحْسَنَ إليهِنّ كُنّ لهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ**»(١).

أو لم يرزقا الأولاد مطلقاً فعليهما أن يصبرا ويحتسبا أجرهما عند الله تعالى.

البحث الثالث:

حقوق الأولاد على الأبوين

النسل هدف أصيل من أهداف الحياة الزوجية. وهو رغبة لها جذورها في نفس الرجل وفي نفس المرأة على السواء، فكل إنسان يرغب في بقاء اسمه ودوام أثره.

والقرآن يجعل المباشرة معلّلة بقصد النسل، إذ هو أثرها اللازم في الغالب: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾(٢) (٣).

الحرث هو موضع البذر والإنبات.

وقد عد الإسلام النسل من النعم التي تبهج الحياة وتحقق السعادة: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(٤).

---

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ٥٩٣٢، وعزاه لأحمد والشيخين والنسائي.

(٢) الأسرة في الإسلام، عرض عام لنظام الأسرة في ضوء الكتاب والسنة: للدكتور مصطفى عبد الواحد (٧٣ - ٧٦) ط. مكتبة المتنبي - القاهرة.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

هو نعمة تستحق الحمد ومنَّة توجب التقدير، ولذا توعّد القرآن من أعطيها فجحد ورزقها فلم يشكر. . ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾[1].

ومهما قاسى الناس المتاعب والمصاعب في كفالة الأولاد وتعهدهم، فلن تجفَّ في نفوسهم الرغبة نحوهم والحنين إليهم. . لهذا اهتم الإسلام برعاية النسل وإعداد العدّة له، كي ينشأ سليماً من الآفات بعيداً عن المعاطب.

ويبدأ الإعداد لمستقبل الذرية باختيار الأم الصالحة، الطاهرة البيئة المستقيمة السلوك.

فهذا إحسان مقصود إلى الأبناء، يضمن ذكاء النشأة وسلامة الوجهة، كما قال الشاعر القديم:

وأول إحساني إليكم تخيّري لماجدة الأعراق بادٍ عفافها

وهو يوافق ما جاء في الأثر: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دسّاس**»، فإذا خرج الولد إلى الوجود، فينبغي إكرامه والاحتفاء به، بقدر ما يسمح حال الوالدين.

ومن مظاهر ذلك إحسان اسمه، كي لا يتأذى به إن كان كريهاً. وهذا من حقوق الولد على والده. وكذلك يسن أن يظهر الأب شكره لتلك النعمة، بطعام يصنعه للمحتاجين يوم السابع من مولده بما يقدر عليه. وهذا استقبال حسن وطالع كريم.

ثم يوجب الإسلام نفقة الأولاد على الوالد ما داموا عاجزين عن العمل والكسب.

قال رسول الله ﷺ: «**وابدأ بمن تعول. . . يقول الولد أطْعِمْني إلى مَنْ تدعني؟!**» رواه البخاري. وتضييع الأولاد وترك الإنفاق عليهم وإهمال رعايتهم

(١) سورة المدثر، الآيات: ١١ - ١٣.

من كبائر الذنوب التي قال النبي ﷺ: «**كفى بالمرء إثماً أن يضيّعَ من يقوت**» رواه أبو داود وأحمد والحاكم.

وبعد الرعاية المادية تأتي الرعاية المعنوية. فللأولاد حق الحب والرحمة..

وذلك وإن كان مما تدعو إليه الفطرة وتحمل عليه، إلا أن ما قد يصيب الطبائع من شذوذ وما يطرأ على الفطرة من مسخ وتشويه، اقتضى الإيقاظ والتنبيه.

قدم ناس من العرب على رسول الله ﷺ فسألوا: تقبّلون صبيانك؟

فقالوا: نعم.

فقالوا: لكنا والله ما نقبّل!

فقال النبي ﷺ: «**أوَ أملك إن كان الله نزعَ من قلوبكم الرحمة**» متفق عليه.

إن الإسلام ينكر الجفاء والغِلْظة مع الأولاد، ويفترض أن تعمهم الرحمة ويحيطهم الحنوّ والشفقة، والرعاية والتوجيه السليم حق ضروري للأبناء على الآباء في كل طور من أطوار النشأة.

ففي الطفولة يجب بَذْر الدين الصحيح وتأكيد أساسه في نفوس الأطفال بقدر ما يطيقون. ولا بد من التدريب على شعائر الدين وإعطاء القدوة في ذلك.

يقول الرسول ﷺ: «**مروا أبناءكم بالصّلاة وهم أبناء سبع سنين، واضْرِبُوهم عليها وهم أبناءُ عشر سنين، وفرّقُوا بينهم في المضاجع**» رواه الطبراني.

وفي كل مرحلة ينبغي بذل الرعاية الواجبة لها، بما يخرج الفرد السويّ المكتمل، الذي تتضح فيه معالم الفطرة وخصائص الإنسانية ومُثل الدين.

وذلك في مجموعة هو الأدب الذي فرض الإسلام على كل والد أن يأخذ به ولده، كما قال النبي ﷺ: «**من حق الولد على الوالد أن يُحسِنَ أدبه ويُحسن اسمَهُ**»، وقال: «**أكرموا أولادكم وأحسِنُوا أدبهم**».

وفي التعليم يتعين قدر ضروري للفتى والفتاة على السواء، وهو معرفة ضروريات الدين: عقيدته وأركانه وآدابه وشعائره.

فذلك لا ينبغي أن يجهله الناشئ، مهما كان اتجاهه في فنون العلم أو أوجه العمل. فإذا تبينت الرغبات وجّه الأب ولده إلى ما اختاره واستعد له، بما لا يخرج عن آداب الشرع وحاجات الحياة. أما الفتاة فالأمثل لها أن تتهيأ لما ترشحها له فطرتها من التزوّد بثقافة الأمومة ورعاية البيت. والتخصص فيما يعينها على أداء رسالتها والنهوض بعبئها.

البحث الرابع:

فطرة الطفولة سليمة صحيحة

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. إنها فطرة الإسلام التي خلق عليها جميع البشر، أي فطرة الاستسلام والخضوع والعبودية لله وحده، فطرة التوحيد بأن لا إلٰه إلا الله، التي أودعها الخالق في البشر قبل ولادتهم، حتى لا يكون لإنسان حجة في الشرك يوم الحساب العظيم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾[2].

وفي ذلك قال الرسول ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأبوَاهُ يُهوّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يمجّسَانِهِ**»[3]. مما يدل على أن هذه الفطرة عرضة للفساد بحسب تأثيرات البيئة التي يعيش فيها الإنسان، بحيث تفقد الفطرة أثرها في توجيه الإنسان إلى التوحيد وفعل الخير إذا عايشت بيئة سيئة.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٣) صحيح الجامع الصغير برقم ٤٥٦٠، وعزاه للكتب الستّة، وفي لفظ: «كلُّ مولود يُولد على المِلّة..» أي مِلّة الإسلام!!

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]. فالخالق جلت قدرته، قد جبل الإنسان على صفات طبيعية معينة لتمكينه من العيش على هذه الأرض، والاندماج في هذا الكون الواسع بمخلوقاته المتعددة، بصورة تحفظ كيانه وتطوره وتكاثره. وهي صفات ترتبط بدرجة كبيرة بغريزة حب الذات، وما يرتبط بها من ميل للدفاع عن النفس، وحب للتملك، والشهوة للجنس والولد، والالتصاق بالعشيرة المساندة، وغيرها من صفات تتشابه في بعضها مع الحيوان، وتتميز في بعضها في الذات الإنسانية. ومن الطبيعي أن تتشابك هذه الصفات وتختلط بنسب متوازنة، اقتضتها حكمة الخالق جلّت قدرته، شأنها في ذلك شأن كل ما خلق في هذا الكون الواسع.

وتأتي فطرة الإسلام، القائمة على التوحيد وتذكّر قدرة الله، لتقوم بدور المرسخ لتوازن هذه الصفات في النفس الإنسانية، لضمان صلاحها وصلاح دورها في مجتمعها، أي ضمان الانتفاع بها في حفظ حياة الإنسان وبقاء نوعه، لكن لهذا الانتفاع حدوداً. فإذا ما لجأ الإنسان إلى تعطيل التوازن في هذه الفطرة وإفسادها، رغبة منه في الانتفاع إلى ما هو أعلى من حد التوازن، فإنه يتيح الفرصة لعوامل الشر أن توجه مسيرته. إن شأن هذه الصفات الطبيعية شأن الدواء، كثيره قاتل، وقليله غير فعال، واعتدال تعاطيه فيه الوصول إلى العافية. فالنزوع إلى الفخر والغرور على سبيل المثال، ناجم عن إطلاق الميل إلى الاعتزاز دونما كابح مما يقلبه إلى صفة سيئة، وصفة الهوان والذل، ناجمة عن تقليص صفة الاعتزاز الوسطية وقلبها أيضاً إلى صفة سيئة، وهكذا ينطبق الحال على جميع مظاهر السلوك التي تعكس مدى اعتدال أو تطرف الصفات الإنسانية.

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

البحث الخامس:

أساليب تربية الأطفال في الإسلام[١]

في الوقت الذي تتعدد فيه قنوات التوجيه التربوي، فإنّ هناك قنوات دلّنا الإسلام على أهميتها، لاستغلالها بصورة مشوقة أثناء توجيهنا للطفل سلوكياً وفكرياً. وهذه القنوات هي: الحوار، واللعب، والقراءة.

ومن الإشارات الإسلامية إلى أهمية هذه القنوات، وبدءاً بالحوار، ما حدّث به عبد الله بن عباس، من أنّ الرسول الكريم ﷺ كان يسأل الناشئة من الصحابة رأيهم تعويداً لهم على إعمال العقل وتحمّل مسؤولية القول، فسألهم ﷺ مرة: «**ضرب الله مثلاً للمؤمن، الشجرة التي لا يسقط ورقُها، أتَدْرُونَ ما هي؟**» فسكتوا فقال الرسول: «**إنّها النخلة**». وكان عبد الله بن عباس مع أبيه، فلما انصرفا إلى بيتهما، قال عبد الله لأبيه: كنت أعرف ما سأله الرسول لكني خفت أن أقول أمام الصحابة، فقال له أبوه: أمّا لو قلْتَ لكان ذلك أحبّ إليّ من حُمْر النِّعم. ويدلُّ هذا الفعل من الرسول الأكرم ﷺ على أهمية الحوار مع الناشئة، لأثره التربوي الكبير في نفوسهم، كما يلاحظ منه الربط في التوجيه ما بين السلوك والأخلاق (الإيمان) وما بين الفكر والمعرفة (المعلومات) عن النخلة، فيما أشرنا إليه من أهمية التوازن ضمن القواعد الأساسية للتربية.

كما أشار الإسلام إلى أهمية اللعب للأطفال سواء في سرد الحكايات أو تدريبهم على صنوف الرياضة البدنية، أو الانطلاق في أحضان الطبيعة ممّا سيوضح بعد قليل. أمّا قناة القراءة، فلا تحتاج إلى تفصيل للدلالة على أهميتها

(١) هذه الرواية أخرجها قريباً من هذا اللفظ: البخاري في صحيحه في كتاب العلم ٤، ٥، ٥٠، وكتاب التفسير سورة إبراهيم/ آية ١، وفي كتاب الأدب باب ٨٩، ومسلم في صحيحه في كتاب المنافقين باب ٦١، ٦٢، ٦٤، والترمذي في سننه: كتاب الأدب باب ٧٩، ٨٩. والإمام أحمد في مسنده ج ١/ ٦١، ٩١، ١٢٣.

في ميزان الإسلام، مع معرفتنا أن أول كلمات اتصال الخالق برسوله كانت كلمة «اقرأ».

ويجدر التنويه إلى أن نجاح استخدام هذه القنوات في التوجيه التربوي، يتطلب توافر عنصر المشاركة اليومية، لتحقيق الأثر المطلوب. فتوفير اللعب المختلفة للطفل - على سبيل المثال - وتركه وحيداً دونما مشاركة له وتفاعل معه، يؤديان إلى الحد من الأثر المرتجى من توفير هذه اللعب، في تنمية ملاحظته وإثارة رغبته في التجميع والفك، أو تنمية مقدرته على التذكر والتصنيف. بل إن لنقص عنصر المشاركة أثره السلبي في فرض عزلة على الطفل، وفي زيادة ميله للملكية والاستحواذ عند تركه وحيداً مع ألعابه. ولهذا نجد بعض الآباء يشكون من أن أطفالهم سرعان ما يملّون اللعب التي يوفرونها لهم، متناسين أهمية مشاركتهم هم أبناءهم في اللعب بها في أوقات مناسبة.

الحوار: من شروط الحوار السليم مع الطفل حُسْن الإصغاء إليه، واحترامه والاهتمام برأيه، والإجابة على تساؤلاته مهما بدت بسيطة أو غريبة. وينبغي الاهتمام باللغة المستخدمة مع الطفل لتطوير قدرته اللغوية، فاللغة هي الوعاء الأساسي لتحقيق تواصل الطفل مع واقعه، ويخطئ بعض الآباء حين يتحدثون مع أبنائهم بلهجة طفولية خاصة، لظنهم أنّ ذلك يساعد الطفل على الفهم. والواقع أن ذلك يؤدي إلى تأخير تطور مداركهم، وإلى تشويه نطقهم وأسلوب تعبيرهم، مما قد يمتد أثره إلى الكبر فيواجه الطفل حرجاً أمام الآخرين.

اللعب: يلبي اللعب حاجة الطفل الطبيعية للحركة الدائبة، وحب الاستطلاع المتوثب لديه، والتكيف مع واقعه الجديد المتطور. وتتعدّد أنواع لعب الأطفال من الاستماع إلى القصص، وصنوف الرياضة البدنية المختلفة، والتعامل مع مجسمات الألعاب، والتنزه في أحضان الطبيعة، وممارسة الفنون المختلفة غير ذلك مما ينمي تفكيره ويزيده معرفةً.

وتعتبر الحكايات والقصص أول العوالم التي تجذب انتباه الطفل، وتعلمه كقناة تربوية حسن الاستماع، وتعدّه لنمو الإدراك العقلي. إنّ لنا في أسلوب

قصص القرآن العظيم، خير دليل على أهمية القصص في التوجيه التربوي إذا ما أحسن استخدامها.

والحكايات المناسبة للطفل هي التي تمزج جانب الخيال المتفق مع ميوله بالجانب التربوي السلوكي لتوجيهه بأسلوب غير مباشر. ومن الملاحظ أن الطفل ميال لتكرار سماع القصص والحكايات التي تروق له، مما يمكّن الآباء من ترسيخ العِظَة والفكرة التي يودّون إيصالها للطفل. وقد اهتمّ الإسلام بالرياضة البدنية، التي من شأنها تقوية الجسم والذهن وإعداد المسلم القوي. فقد جاء في الحديث: «**المؤمن القويّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير**»[1]. ولهذا وجّه عمر بن الخطاب ﷺ الآباء بقوله: «علّموا أولادكم السّباحة والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً».

وتدل مراقبة الأطفال أثناء لعبهم على أنهم ميّالون إلى تقمص (تمثيل) شخصيات مختلفة، كوسيلة للتعبير عن انفعالاتهم الحادّة وبناء ثقتهم بأنفسهم. وإذا سألتهم عما يفعلون أجابوا أنهم يلعبون، بينما هم في واقع الأمر يبحثون عن مجالات يفرضون أنفسهم فيها على الظروف الخارجية، بدل أن يخضعوا لها. كما أنّهم يعبّرون عن تشوقهم للاضطلاع بالمسؤولية المبكرة، واكتساب المعرفة، وممارسة المشاركة. ومن الأدوار التي يميل الأطفال إلى تقمصها أدوار الأم والأب، والحاكم واللص، والبائع، والطبيب والمريض، والقط والفأر، والعجوز، والفلاح، والساحر، والبطل والمهرج.

ويجدر التنبيه إلى أنه كلّما اعتمدت ألعاب الطفل على مواد أوّلية، يقوم هو وأقرانه بتشكيلها وتركيبها، عظم أثر هذه الألعاب في قدرته الإبداعية، لأنّها تترافق عندئذ بأهمية الفعل لا مجرد الملكية. والمؤسف أن التصنيع الشعبي لهذه الألعاب قد تعرض للإهمال في عصرنا الحاضر.

ولقد حثنا الإسلام على التأمّل والانطلاق في آفاق الطبيعة، لِما لذلك من

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ٦٦٥٠، وعزاه لأحمد ومسلم وابن ماجه.

أثرٍ في تنمية الملاحظة، وإذكاء الرغبة في البحث، وإطلاق الانفعالات الحادّة المترسبة بحكم الحياة الرتيبة، وترقية الإحساس بجمال الخلق الواسع وإتقان صُنْعِهِ، في عملة تترك أثرها الإيجابي على الجسم والفكر والروح.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

وإنّ في ملاحظة ما يعتري الإنسان، الصغير والكبير، من انشراح وانطلاق في الطبيعة، لمؤشر على الأثر الكبير في استغلال مظاهر الطبيعة غير المحدودة في توجيه الطفل سلوكياً ومعرفياً. ولنا في التطور الفكري لسيدنا إبراهيم عليه السلام بتأثير من مظاهر الطبيعة المتتابعة خير مثال، إذْ تحدّثنا الآيات الكريمة (٧٦-٧٩) من سورة الأنعام، كيف قادته المشاهدةُ المتعمّقةُ للسمٰوات والأرض، إلى ملاحظة تناسق الخلق ومعرفة وحدة الخالق، فكان الإيمان بالله الواحد الأحد..

القراءة: أما فيما يتعلق بقناة القراءة، فإنّه يسود الظن لدى الآباء، أن تعلّم أطفالهم في المدارس، يغنيهم عن ضرورة قراءة الكتب المفيدة الخارجة عن المنهج الدراسي. إنّ المدارس تلبي غرض التعلّم العريض الخطوط نظراً لكثرة الطلاب فيها، لكن من شأن القراءة البيتية تعميق رغبة الطفل في المعرفة، وتحقيق التواصل الشخصي مع الكتاب المفيد النافع.

ويعتبر اختيار الكتاب المناسب للطفل أمراً على جانب كبير من الأهمية لجذبه إلى القراءة. فينبغي أن نزوّده وهو في حدود السابعة من عمره بالقصص والحكايات المبسطة، فقصص البطولات الإسلامية والسيرة النبوية للأطفال وهو في سنّ الثامنة، فالكتب العلمية المناسبة وهو في سن التاسعة، وذلك بشكل يتداخل فيه التوجيه السلوكي بالفكري المعرفي، فيتمُّ تدرجه في عالم القراءة

(١) سورة الزمر، الآية: ٢١.

الواسع مع نضجه. ويجدر مراقبة ما يقرأه الطفل، وإبعاده عن الكتب والمجلات التافهة في مضمونها، لتأثره الكبير في هذه المرحلة من عمره بما يتم نقله إليه من معلومات.

وممّا ينبغي ترغيب الأولاد على قراءته وحفظه بشكل مركّز أجزاء من القرآن الكريم أو بعض سوره، مع تفسيرها بشكل موجز، ثم قراءة فصول من كتب السّنّة النبوية، ليتأصّل لديهم نُورُ النبوّة، فإنّ للأحاديث النبوية آثارها العميقة في الفطرة البشرية.

البحث السادس:

تربية الطفل على عبادة الله تعالى

١ - **ذكر الله**: يتطلب توجيه الأبناء إلى ذكر الله الاهتمام بحضّهم على التلاوة ومساعدتهم في ذلك، مع إفهام تدريجي لمعاني القرآن العامة، تحضيراً لهم لتفهّم أحكام الإسلام. ونظراً لأهمية هذا الموضوع، فيلزم إفراد جزء خاص به في اختيار كتاب يتضمن سهولة الأسلوب في تعريف الطفل بالقرآن الكريم، بشكل ميسّر يتدرّج مع نمو الطفل الإدراكي.

أمّا فيما يتعلق بباقي الفرائض الإسلامية، فإنّ على الوالدين الاهتمام بإفهام الطفل الحكمة من فرضها بأسلوب رحيم صبور، دونما ترهيب أو إلزام قسري، ويتمُّ توضيحه ضمن التيسير والترغيب.

وفيما يلي بعض المقترحات لتوجيه الطفل إلى هذه الفرائض، بدءاً بعمودها الأساسي: الصلاة.

٢ - **الصلاة**: يتم نقل الحكمة من الصلاة إلى الطفل وهو في حدود السنة السادسة من عمره، بإفهامه أننا نصلي خمس مرات في اليوم الواحد حتى نذكر

الله الذي خلقنا ورزقنا من جميع النعم والطّيبات، فلا نفعل إلا الخير الذي يُرضيه، ونبتعد عن الأعمال السيّئة التي أمرنا بتجنبها لصالحنا وصالح من حولنا. ويلي نقل هذا المفهوم إلى الطفل، تعليمه الصلاة في أناة وعطف لدى بلوغه السابعة من عمره. ويتم ذلك بشكل تدريجي، يفهم معه الأطفال المعنى العام لما يقولونه ويقومون به أثناء الصلاة، فنحن في صلاتنا نتوجه جميعاً نحو الكعبة الشريفة، توحيداً لقلوب المسلمين حول بيت الله، الذي أمر ببنائه الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ونقرأ فاتحة القرآن التي تهدي إلى التوحيد والدعوة للسير في الحياة بطريقة صحيحة، ثم نقرأ سورة قصيرةً يجدر إفهام الطفل المعنى العام لها. وإفهامه أن الركوع والسجود لا يكون إلا لله، وما تعنيه التحيّات والصلاة الإبراهيمية، وعلى مَنْ نسلّم في نهاية الصلاة.

ويلاحظ أنّ هذا التوجيه يتطلب جهداً وصبراً، فقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا . . .﴾[1] فالأساس في التوجيه الصبر والرحمة. ويخطئ بعض من يفسر قول النبي ﷺ: «**مُرُوا أولادكم بالصّلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنين، واضْرِبُوهم عليها وهم أبناءُ عشرٍ**»[2]. بأن فرض الصلاة ملزم في سنّ السابعة، إذْ يفسرون كلمة مُرُوا بأنّها ألْزموا بينما تعني الكلمة وجّهوا، والتّوجيه هو الإفهام وبدء التعليم. كذلك فإن الضرب المباح في الإسلام ليس الضرب الموجع أو المؤذي، وإنّما هو التعنيف الزّاجر فحسب، مع المتابعة والتتبع باستمرار. . ومن الوسائل التي يمكن اقتراحها لتوجيه الطّفل للصلاة:

- السماح له بالمشاركة في الصلاة البيتية، حتى وإن لم يتقن أركانها بعد، تشجيعاً له على ذلك.

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٥٨٦٨، وعزاه لأحمد وأبي داود والحاكم. وله ألفاظ متقاربة، انظر إرواء الغليل، ٢٤٧.

- زيادة عدد الصلوات اليومية تدريجاً مع نموّه، حتى يعتاد على أدائها وهو ابن عشر سنين.

- إقامة احتفال عائلي خاص، قد يتضمن طبق حلوى، كإعلان عن بدء تعلم الطفل للوضوء والصلاة، وآخر عند إتقانه لهما. ويمكن أن يبدأ الاحتفال الثاني، بلفظ الطفل الواعي للشهادتين كإعلان عن فهمه للمعنى الأساسي للإسلام.

- قيام الأم بأداء صلاة العشاء في غرفة نوم الأطفال، إن سمحت الظروف بذلك، وهم في فراشهم، من أجل أن يراقبوها، فيتعلموا الصلاة بشكل غير تلقيني أو مباشر.

- الطلب من الطفل إعلام الأب أو الأم عن وقت الصلاة عند سماعه الأذان، لتنبيهه إلى مواقيت الصلاة، وضرورة الالتزام بها.

٣ - **الزكاة**: يمكن البدء بإفهام الطفل الحكمة من الزكاة وهو ابن سبع سنوات، من خلال إفهامه أن الرزّاق هو الله تعالى يعطينا ما يشاء. فإذا أعطانا ما زادَ عن حاجتنا، وجبَ علينا إعطاءَ بعض هذه الزيادة للمحتاجين إليها. وإذا حدث العكس، وجب علينا أن نطالب بحقّنا الأساسي في ضمان حاجتنا مع استمرارية سعينا لاكتساب الرزق الحلال. وهكذا ننمّي في نفسه حبَّ الخير والعطاء، ونحدّ من أنانيته، ونعلمه المطالبة بالحقوق المشروعة، مع تطور إدراكه.

ومن المفيد لتقريب مفهوم الزكاة من الطفل اصطحابه إلى أماكن يقطنها الفقراء وإطلاعه على حالهم، لجعله يفهم بصورة ملموسة معنى الشكر لله على نعمه، وواجب الموسر تجاه المعسر.

ويجدر الانتباه إلى إفهام الطفل أن الإنفاق على الفقراء والمساكين، والذي سيعوضه الخالق سبحانه بما هو أكثر وأنفع، يجب أن يكون مما نملكه من حاجات جيدة. فليست زكاة ما نمنحه للفقراء من أشياء نريد التخلّص منها، بل

الزكاة في إعطائهم ممّا نحن في حاجة إليه، كما قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[1].

كما يجدر توجيه الطفل إلى أهمية العطاء بشكل ضمني غير ظاهر للآخرين، لتلافي إحراج المحتاجين، وتحديد الزكاة لوجه الله تعالى، كما أمرنا الخالق بذلك، ومن المستحب إفراد صندوق للطفل يدخر فيه بعض المال ليزكي منه، تعويداً له على ذلك في كبره.

٤ - **الصوم**: لمّا كان الصوم فريضةً على المسلم البالغ الصّحيح الجسم، فهو لا ينطبق على الطفل كفريضة، إلّا أنّه يجدر إفهام الطفل وهو في حدود السّنة السابعة الحكمة من صيام شهر رمضان، فهو كالزكاة يهدف إلى تذكير الناس بتحسس حاجات الآخرين، وضرورة العطاء، كما أنه يعوّد النفس على الصبر وضبط الرغبات الملحّة. ويمكن تعويد الطفل وهو في حدود العاشرة من عمره صوم جزء من النهار وإطالة هذا الجزء تدريجاً.

كما ينبغي توجيه الطفل إلى أهمية احترام الشهر الكريم، بعدم أكل الحلوى وما شابهها في الأماكن العامة، هذا إلى جانب عدم إكثار العائلة من تقديم الأطعمة الفاخرة في شهر رمضان، حتى لا يرى الطفل فيه مناسبة وموعداً لتقديم الطعام الأشهى. بذلك يضيع الأثر المطلوب إرساءَهُ في نفس هذا الطفل، بأنّ هذا الشهر هو شهر العبادة والشكر لله تعالى.

٥ - **الحج**: يتم تعريف الطفل بالحج بصفته أحد أركان الإسلام، في أثناء تعليمه ركن الصلاة، وإفهامه قصة الكعبة المشرفة وأهميتها، كأول بيت أُسس لعبادة الله تعالى وحده، والحكمة من تجمع المسلمين في أيام معدودات من كل عام حول هذا البيت، لتذكيرهم بتوحد قلوبهم على الإيمان بالله الواحد الأحد. ويمكن مع بلوغ الطفل حوالي التاسعة من عمره أن نعرض له توزع المسلمين في بقاع الأرض المختلفة، وأنّ الحكمة من الحج هي التواضع وعدم اللهاث وراء

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

المظاهر العابرة، إلى جانب التعرّف على مشكلات المسلمين وإعانة بعضهم بعضاً في حلّها. ومن المفيد عند المقدرة المادية، اصطحاب الطفل عند بلوغه العاشرة لأداء العمرة، تحضيراً له وتشويقاً لأداء فريضة الحج بعد نضجه.

وفيما يتعلق بالصور الأخرى لذكر الله، فإنّه يجدر تعويد الطفل قول «الحمد لله» عند تمتّعه بأيّ نعمة من نعم الله تعالى المتعدّدة، من طعام أو كساء أو نزهةٍ وما إلى ذلك. وعلى أن يدعو الله تعالى إذا احتاج إلى أمرٍ ما، وعلى قول: «إنْ شاء الله» إذا عزم على فعل أمرٍ جادٍّ، وعلى قوله «بسم اللهِ» إذا بدأ فعلاً وذلك تمهيداً لجعل حياته كلها مقترنة بذكر الله تعالى. ويمكن في هذا الإطار، على سبيل المثال، تبسيط معنى الحديث القدسي التالي للطفل «**أنا عِنْدَ ظَنِّ عبدِي بِي، وأنا مَعَهُ إذا ذكَرني، فإنْ ذكرني في نفسِهِ ذكرتُهُ في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأٍ ذكرتُهُ في ملأٍ خير منهم، وإنْ تقرّب إليَّ بشبرٍ تقرّبتُ إليهِ ذراعاً، وإنْ تقرّب إليّ ذارعاً تقربت إليه باعاً..**»[1].

البحث السابع:

أخلاق الطفل الحميدة

١ - الصدق:

ينبغي عدم التهاون مع الطفل إذا كذَبَ، ومواجهته في أناةٍ وصبرٍ، مع إفهامه أثرَ وقع الكذب على سامعه من نقص الثقة فيه والمحبة له. ويفيد في هذا المجال سرد بعض الحكايات الشعبية المذكرة بأثر الكذب السّيء، وبرقابة الله تعالى المستمرة لجميع مخلوقاته، وأمره لنا بتجنب الكذب لأنّه لا يعود علينا بأيّ خير. ومن دوافع الكذب عند الأطفال محاولة تجنب العقاب، بادّعائهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٧٤٠٥، ومسلم في صحيحه برقم ٢٦٧٥.

عدم تحطيم حاجةٍ ما، أو عدم إيذائهم أحد إخوتهم، وكذلك ميلهم للادعاء بملكيتهم حاجيات معيّنة أمام رفاقهم، نتيجة تركز الأنانية والغيرة في نفوسهم، وهي أمور تحتاج إلى رقابة ومتابعة مستمرة من الأهل لتصويبها. وينبغي تطبيق العقاب على الكذب المتعمّد، وأفضل أنواع العقاب حرمان الطفل من شيءٍ يحبه، مع تجنب إطلاق لفظ الكذاب عليه، حتى لا يلجأ إلى تحدّ مربّيه بتكرار الكذب، ممّا يلاحظ في طبيعة الطفل إذا فقد جوّ الحنان والرحمة من حوله.

- تعويد الطفل على الوفاء بالوعد إذا وعد، ويكون ذلك بتجنب إلقاء الوعود إليه دونما وفاء لها، فيعتاد هو نفسه مثل هذا التصرف، إذْ يُلاحظ أن بعض الآباء يعمدون إلى إسكات غضب الطفل، أو الحدّ من ضيقه، بالتصريح بوعودٍ لا يقصدون أداءها، فتكون النتيجة أنّهم يحلون مشكلة مؤقّتةً، ليبثّوا مشكلة دائمة في سلوك الطفل.

- توجيه الطفل إلى عدم اللجوء للحلف بغير الله بصورة تلقائية، عندما يود تأكيد أمرٍ ما، حتى لا يعتاد على ذلك فيما بعد، وإفهامه أن الحلف لا يكون إلّا بالله تعالى لإقرار أمرٍ هامّ وحاسم.

- عدم السكوت عن الطفل إذا أبدى ميلاً للادعاء بقدرة ما، أو ملكية ما بعد السابعة من عمره. ففي المرحلة السابقة يمكن قبول سيطرة الخيال عليه، أمّا بعد ذلك فيجب إفهامه أن مثل هذه الادعاءات تفقده ثقة من حوله فيه.

٢ - التهذيب:

- عدم التهاون مع الطفل إذا صدر عنه لفظ نابٍ أو فعل غير مهذب. ويخطئ بعض الآباء بسكوتهم، وربّما بضحكهم، عند صدور لفظ منكر من الطفل، بدعوى عدم استيعاب الطفل ما يقوله.

فمن شأن ذلك تعويد الطفل على منكر القول أو الفعل، فيصعب إيقافه بعد ذلك. ولا يعني عدم التهاون القسوة على الطفل، بل توجيهه بالرحمة والحُسْنَى

إلى أهمية أن يكون حييًّا مهذّباً لا فَظًّا بذيئاً. فإذا تكرر قوله أو فعله المنكر، وجبَ عقابُهُ بحرمانه ممّا يحب.

- تعويد الطفل اللطف والمودّة في تعامله، تمثلاً بقول الرسول الأكرم ﷺ: «**أكملُ المؤمنين إيماناً، أحسَنُهم خُلُقاً، وألطفهم بأهله**»(١).

ولا يعني اللطف سقوط الهيبة بل التوسّط والاعتدال. ومن العوامل المساعدة على المودة الأسرية، التحية بالسلام عند الدخول على أي فرد في الأسرة، كما جاء في الحديث الشريف: «**ألا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتُمُوه تحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بينكُم**»(٢).

- تجنب مكاشفة الطفل بالخطأ أو توبيخه أمام الآخرين، إذ الأفضل معاتبته فيما بعد، وتوجيهه على انفراد. ومن إرشادات الإمام الغزالي حول ذلك تنبيهه إلى «أن المكاشفة تؤدي إلى الجسارة، والإكثار من الزجر يهوّن سماع الملامة ويسقط وقع الكلام في قلب الطفل». فزجر الطفل لا يكون إلا عند اللزوم الملحّ، حتى لا نفقده صفة الحياء، كما نُعزِّزُ في نفسه احترام ذاتِهِ والثقة بها.

- إنْ من الحكمة وبُعدِ النّظر تجنّب التعاتب بين الكبار أو المجادلة والمخاصمة أمام الأطفال، حتى لا ننقل هذا السلوك إليهم فيعتادوه في معيشتهم اليومية ويقلدوه.

- زرع بذور المحبة والثقة المتبادلة بين الأطفال، فينبغي أن لا يسمح للطفل أن يسخر من أخيه، أو يفرح لخطئه، مع السعي قدر المستطاع إلى تخفيف غيرة الأبناء بعضهم من بعض، بتشجيعهم على التعاون وتحمل المسؤولية، وعدم السماح لهم بالتجسس أو الغيبة.

- الاهتمام بمراقبة رفاق الطفل وانتقائهم، لِمَا لذلك من أثرٍ كبير في سلوك

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ١٢٣٠، وله ألفاظ أخرى برقم ١٢٣١ و ١٢٣٢.
(٢) صحيح الترمذي برقم ٢١٦٢ باختصار الشيخ ناصر، وبرقم ٢٨٤١ في سنن الترمذي.

الطفل وأسلوب تفكيره، وذلك امتثالاً للحديث الشريف: «**المَرْءُ على دِينِ خَلِيلِه، فلينظرْ أحدُهم مَنْ يُخالِل**»(١).

- مداعبة الطفل والسعي لسروره ضمن مزاج لا يشوبه الكذب حتى ينشأ الطفل بشوشاً مبتهجاً، لا عابساً. ويكن ذلك بإشاعة جو الرضى لديه، فقد اعتبر رسول الله ﷺ طلاقة الوجه صدقة تستحق الثواب، وذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «**أنْ تلقَى أخَاكَ بوجْهٍ طَلْقٍ صدقة**»(٢).

- عدم التساهل مع الطفل إذا عبّر عن رغبته بالسهر ليلاً خارج المنزل. إذْ أن لراحة الطفل أثراً في تهذيب روحه ونفسه، كما ورد في الحديث الشريف: «**إذا كان جنحُ الليل أو أمسيْتم، فكفّوا صبيانكم، فإنّ الشياطين تنتشرُ حينئذٍ، فإذا ذهبَ ساعةٌ من الليل، فحلّوهم وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإنّ الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً**»(٣).

ففي ذلك توجيه للآباء بحفظ أطفالهم في بيوتهم في المساء، وإلباسهم ثياب نومهم وإراحة أجسامهم ونفوسهم بالنوم المبكّر، مع تجنب وضعهم في السرير ونفوسهم قلقة أو حزينة. ومن التوجيهات الإسلامية حول نوم الأطفال وضعهم في أسرّة منفصلة، للأثر الصحي والنفسي الأسلم، كما جاء في التوجيه النبوي: «**.. وفرِّقُوا بينَهُمْ في المَضَاجِع**»(٤).

٣ - برّ الوالدين:

يجدر تعويد الطفل على احترام والديه وطاعتهم، فعقوق الوالدين من الكبائر التي حذَّرَ الإسلامُ منها في الحديث الشريف بأنّها: «**الإشراك بالله،**

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢٣٧٨، وهو في صحيح الترمذي للشيخ ناصر برقم ١٩٣٧.
(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٧٦٣٤، وعزاه للترمذي.
(٣) صحيح الجامع الصغير برقم ٧٦٤، ولأحمد والشيخين وأبي داود والنسائي.
(٤) صحيح الجامع الصغير برقم ٥٨٦٨، وعزاه لأحمد وأبي داود والحاكم.

وعقوق الوالدين، وقول الزور»[١]. ومن مظاهر احترام الوالدين أن لا ينادي الطفل أحد والديه باسمه مجرّداً، وأن لا يعرّضه للسبِّ بأن يشتم الآخرين. فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرَّجُلُ والديْهِ**» قيل: يا رسولَ الله وكيف يلعنُ الرجلُ والديه؟ فقال ﷺ: «**يَسُبُّ الرجلُ أَبَا الرجلِ، فيُسبُّ أَبَاهُ ويَسُبُّ أُمَّهُ**»[٢].

- **مراعاة الحرمة الشخصية:**

يجدر تعويد الطفل على ضرورة مراعاة الحرمة الشخصية لأفراد الأسرة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾[٣].

وتدل هاتان الآيتان الكريمتان على وجوب تعويد الأطفال قبل بلوغهم سنّ النضج، ومنذ بدء إدراكهم في حدود السابعة من عمرهم، على وجوب الاستئذان من الوالدين قبل دخولهم غرفة نومهما ثلاث مرات، هي قبل الفجر، وبعد العشاء، ووقت نوم الظهيرة. وما عدا ذلك فلا وجوب للاستئذان إلى أن يصلوا سن البلوغ، فيجب عندها الاستئذان في كل الأوقات.

٤ - الصّبر:

- على الوالدين تجنب المسارعة إلى مراضاة الطفل وإزالة أسباب غضبه، حين يُعْلِنُ عن حاجته لأمرٍ ما بشكل عنيف، كالصراخ أو تحطيم لعبة وما شابه.

---

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ١٤٤، وعزاه للشيخين وأبي داود والنسائي.
(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٢٢١٤، وعزاه لأبي داود.
(٣) سورة النور، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

الأحرى بالوالدين في تلك الحال أن يُعَبِّرَا للطفل عن امتعاضهما من تصرفه، ويبطئا في تلبية حاجته أو عدم تلبيتها على الإطلاق، حتى يفهم أن أسلوب الغضب غير المبرر لا جدوى منه، فعليه الإقلاع عنه. ويفيد في ذلك سرد الحكايات التي تظهر أهمية الصبر ومردوده الأعلى.

- تشجيع الطفل على المثابرة وإعادة المحاولة إذا فشل في القيام بأمر يرغبه، ومساعدته بطريقة غير مباشرة على النجاح لزرع الثقة في نفسه، وإضفاء روح التفاؤل وإبعاد اليأس عنه.

- العمل على تعريض الطفل لأجواء بيت المؤمنين الصابرين الذاكرين لله تعالى البعيدين عن سيطرة هوى النفس والانغماس في البذخ والتّرف.

٥ - التواضع والاعتزاز:

- عدم المبالغة في الثناء على الطفل إلى أكثر مما يستوجبه زرع ثقته بنفسه. ويحسن تجنب مقارنته بأقرانه والتحدث عن تفوقه عليهم، لِمَا لذلك من أثرٍ سيئٍ في استثارة أنانيته وإبعاده عن سمة التواضع، وفي التمهيد إلى عزلته والترفع عن معايشة مجتمعه عند نضجه.

- تجنب بث العصبية عند الطفل لعائلته أو عشيرته، أو التمييز بين النّاس أمامه لصالح غني على فقير، أو أبيض على أسود. إذ ينبغي توجيه قلبه إلى محبة المؤمنين جميعاً، من اعتبار لون أو شكل أو جمال إلّا التقوى والعمل الصّالح.

٦ - القناعة والكرم:

- توجيه الأطفال من خلال الممارسة إلى أن توفير حقوقهم، لا يعني حصولهم على حقوق زائدة تعرّض حقوق الآخرين للنقصان أو الضياع. ومن الأمثلة لتقريب هذا المفهوم لدى الطفل إظهار أثر توفير الزائد عن حاجته، من ملابس وألعاب يطالب بها، في حرمان باقي أفراد الأسرة من حاجة ضرورية أهم، أو بسرد الحكايات التي تميّز الحق الأساسي والمعقول، من الزائد الضّار، مثل حكاية الذي أراد أن يخرق سفينة مدّعياً أن له حق التصرف بالجزء

الذي يقف فيه من سطحها[١].

- عدم إعطاء المال وزناً هاماً في حياة الطفل، إذ يخطئ الوالدان اللذان يمنحان الطفل مبلغاً من المال، مقابل قيامه بعمل حسن أو امتناعه عن فعل أمر سيئ، مما يجعل للمال قيمةً كبيرةً في حياته. ويمكن تشجيع الطفل ومكافأته على حسن صنيعه بإهدائه كتاباً جذاباً، أو صحبته في نزهة، أو زيارة رفيق له وما شابه ذلك من ألوان التشجيع.

- تجنب تلبية حاجات الطفل الكمالية حال إعلانه عنها، من ألعاب وملابس وحلويات، فمن شأن ذلك أن يولد في نفسه الجشع والطمع. فإذا ما نقص رزق الأب شعر الطفل بحرمان لا مبرّر له، فيلجأ إلى توفير هذه الكماليات عندما يشتد عوده، مهما كانت الوسيلة إلى ذلك فيجنح إلى السوء، وفي المقابل، قد يشكوا أطفال آخرون من نقص في تلبية مطالبهم وحاجاتهم، ويقارنون أنفسهم برفاقهم من أبناء الموسرين.

وهنا ينبغي بالآباء توجيه أطفالهم بما يتفق مع قوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا نَظَرَ أحدُكم إلى مَنْ فُضِّلَ عليه في المالِ والخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إلى مَنْ هو أَسْفَلَ مِنهُ**»[٢]، بذا ينشأ الطفل قانعاً بحياته، مدركاً أنّ الرزق والخير يتم توزيعه لحكمةٍ إلٰهية، وأن دوام الشكر من مُسَبِّبَاتِ زيادة الرزق الحلال.

- تجنّب تصرف شؤون البيت في جوٍّ مُتْرَفٍ، كله دعة وتراخ، فكما أنّ الإنفاق على الأسرة يأتي في المرتبة الأولى في الإسلام، فإن الإسلام قد أوصى

---

(١) وهو الحديث الصحيح: «مَثَلُ القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمَثل قوم استهَموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استَقَوْا من الماء مَرُّوا على من فوقهم، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذونا، فقالوا: لو أنّا خرقْنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم، نَجوا ونَجوا جميعاً» صحيح الجامع الصغير/ رقم ٥٨٣٢، وعزاه لأحمد والبخاري والترمذي.

(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٨٠٨، وعزاه لأحمد والشيخين.

بالوسطيّة، ونهى عن الإسراف في جميع صوره، لكونه يركّز في النفس صفة الكِبْرِ والخُيلاء، ولكونه يهدرُ مالَ اللهِ في أمور كمالية، بينما الآخرون في أمسّ الحاجة إليه. وذلك يناقض صفة العدل المأمور بها في الإسلام.

ومن مظاهر الإسراف البيتي، البذخ في اللباس والطعام والأثاث والبناء. وقد قال الرسول ﷺ عند رؤيته حلّة من السيراء - أي الحرير الخالص -: «**إنّما يَلْبَسُ هذهِ مَنْ لا خَلاَقَ - أي نصيب - له في الآخرة**»(١)، وقوله في مناسبة مشابهة: «**لا ينظر اللهُ إلى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ**»(٢).

وفي ذلك توجيه للآباء إلى ضرورة توفير الحاجيات اللازمة للطفل، بصورة تجلب الراحة في معيشته، والبساطة في نفسه، وعدم تمييزه عن أقرانه حتى لا يظهر الكِبَرُ في سلوكه. كما يجدر تعويده على صيانة ممتلكاته الخاصة، من ملابس وألعاب وكتب وغيرها، والحفاظ على حاجيات البيت المختلفة، والاستهلاك المعتدل للمياه والكهرباء وغير ذلك...

- تعويد الطفل على أداء جزء من ماله أو ما يُحبه إلى المحتاجين، كما أُشِيرَ إلى ذلك تحت فريضة الزكاة، مع إفهامه معنى الحديث القدسي: قال الله ﷻ: «**أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليكَ**»(٣).

- توجيه الطفل لإكرام الضّيف وذي القُربَى، وتجنيبه البخل الذي إذا استفحل في الطفل امتدَّ أثرُهُ في جميع معاملاته. وهذا ما نهى عنه الله ودعا إلى الوقاية منه، واعتبر المتخلّصين من آفته من المفلحين.

---

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ٢٣٨٧، وعزاه لأحمد والشيخين وأبي داود والنسائي وابن ماجه.

(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٧٨٠٣، وعزاه للشيخين والترمذي.

(٣) ذكره الحافظ السيوطي في الدر المنثور ج ٥/ ٢٣٩، «**أنْفِق يا ابن آدم أُنْفِق عليك**».

البحث الثامن:

حقوق الأبناء على الأبوين من الكتاب والسّنّة

قال الله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1].

وقال الله تعالى أيضاً: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وقال تعالى أيضاً: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾[2].

ومن أقوال المصطفى الكريم عليه الصَّلاة والسلام:

١ - «**تخيّروا لنطفِكُمْ فَانْكِحُوا الأكفَاءَ، وانكِحُوا السليم**» (صحيح الجامع الصغير/ رقم ٢٩٢٨).

٢ - وروى أبو رافع قال: (رأيت رسول الله ﷺ أذَّنَ في أُذْنِ الحسنِ بن عليٍّ حين ولدته فاطمة رضي الله عنها) رواه أبو داود والترمذي.

٣ - «**افتحوا على صبيانكم أوَّلَ كلمة بلا إله إلا الله**» رواه الحاكم.

٤ - وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «وُلد لي غُلامٌ فأتيت بهِ إلى النبي ﷺ فسمَّاهُ إبراهيم وحنَّكهُ بتمرةٍ ودعا له بالبركةِ، ورفعه إليّ» رواه البخاري ومسلم.

٥ - «**مع الغلامِ عقيقته فأهريقوا عنهُ دماً وأميطوا عنه الأذى**» رواه البخاري ومسلم.

٦ - «**كُلُّ غلامٍ مرتهنٌ بعقيقته تذبح عنهُ يوم سابعهِ ويُسمى فيه ويُحْلَقُ رأسه**» رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

٧ - «**اجعلوا مكان الدم خلوقاً**» رواه ابن حبَّان، «الخلوق: يعني الطيب».

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

٨ - «**إنكم تُدْعَونَ يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم**» رواه أبو داود.

٩ - «**أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمٰن**» رواه مسلم.

١٠ - «**الرجل راعٍ في أهله ومسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها**» رواه البخاري ومسلم.

١١ - «**كفى بالمرءِ إثماً أن يحبس عمن يملك قوته**» رواه مسلم.

١٢ - «**من كان له ثلاثُ بنات أو ثلاثُ أخوات أو بنتان أو أختان فأدَّبَهُنَّ وأحسنَ إليهنَّ وزوَّجهنَّ فله الجنة**» رواه الترمذي وأبو داود.

١٣ - «**دينارٌ أنفقته في سبيل الله ودينارٌ أنفقته في رقبةٍ ودينارٌ تصدَّقتَ به على مسكين ودينارٌ أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**» رواه مسلم.

١٤ - وجاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: أتقبِّلون صبيانكم فما نقبلهم؟ فقال النبي ﷺ: «**أو أملكُ لك إن نزعَ اللهُ من قلبك الرحمة؟**» رواه البخاري في الأدب المفرد.

١٥ - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما «أنَّ أباه أتى بهِ رسول الله ﷺ فقال: إني نحلتُ ابني هذا غلاماً كان لي - أي أعطيته - فقال رسول الله ﷺ: «**أكُلَّ وَلَدِكَ نحلته مثل هذا؟**» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**فارجعه**» رواه البخاري ومسلم.

١٦ - «**سَووا بينَ أولاكم في العَطيَّة**» رواه الطبراني.

١٧ - «**من حقِّ الولدِ على الوالدِ أن يُحسنَ أدبهُ ويحسنَ اسمه**» رواه البيهقي.

١٨ - «**مُروا أولادكم بالصَّلاةِ وهم أبناء سبعٍ واضربوهم عليها وهم أبناء عشرٍ وفرقوا بينهم في المضاجع**» رواه الحاكم وأبو داود.

١٩ - «**ما نحَلَ والدٌ ولداً من نَحْلٍ أفضلُ من أدبٍ حسن**» رواه الترمذي.

٢٠ - «**أدِّبُوا أولادكم على ثلاثِ خصال: حُب نبيِّكم وحُب آل بيته وتلاوة القرآن**» رواه الطبراني.

٢١ - «**علِّموا أولادكم السِّباحة والرِّماية وركوبَ الخيل**» النسائي وابن ماجه وابن حبَّان.

٢٢ - «**رحمَ اللهُ والداً أعان ولدَهُ على برِّه**» رواه ابن حبَّان.

وفي ختام هذه الطائفة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أقول: إنَّ من يطَّلعُ على توصياتِ علمِ النفسِ التربويّ الحديث يجدُ أنَّها لا تختلف عن كثيرٍ ممّا نادى به الإسلامُ منذ زمنٍ بعيدٍ إلا في ظواهر الأمور، فالحمد لله على نعمةِ الإسلام.

البحث التاسع:

حقوق الآباء والأمهات من الكتاب والسنة

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[1].

ومن أقوال رسول الله ﷺ:

١ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ أيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على أوقاتها**»، قلتُ: ثم أي؟ قال: «**برُّ الوالدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله» متفق عليه.

٢ - أقبل رجل إلى النبي ﷺ فقال: «أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

الأجر من الله تعالى، فقال: «**هل لك من والديك أحدٌ حيٌّ؟**» قال: نعم بل كلاهما، قال: «**فتبغي الأجر من الله تعالى**»، قال: «**فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**» متفق عليه.

٣ - وقال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» - ثلاثاً - قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، وكان متكئاً فجلس فقال: «**ألا وقول الزور، وشهادة الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت، متفق عليه.

٤ - وقال رسول الله ﷺ: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**»، قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسبُّ أبا الرجل فيُسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**» متفق عليه.

٥ - وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى حرَّم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات ووأد البنات، وكره لكم قيلَ وقالَ وكثرة السؤال وإضاعة المال**» متفق عليه.

٦ - وسأل رجل رسول الله ﷺ: من أحقُّ الناس بحُسن الصحبة؟ فقال الرسول ﷺ: «**أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك**». ورد في الصحيحين واللفظ لمسلم.

٧ - وقال النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم: «**رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف مَن أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة**» رواه مسلم.

٨ - وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة حرَّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاقُّ لوالديه، والديُّوث الذي يُقرُّ الخبث في أهله**» رواه أحمد والنسائي والبزار والحاكم.

٩ - وجاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله: هل بقي من برِّ أبويَّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال ﷺ: «**نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**» رواه أبو داود.

البحث العاشر:

حقوق الأبوين على الأولاد

لم ينس الإسلام أن يبين حقوق الوالدين وأن يشرع منهاج معاملتهم، فهما أصل الأسرة اللذان تحمّلا العبء وواجها المصاعب في سبيل رعاية الأبناء وتوفير الأمن والسعادة لهما.

فجعل لهما حق البر واللطف والرعاية والرحمة، وأكد هذا الحق بأنه قرنه بحق الله، له ما له من الإجلال والوفاء. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1].

وخص حال الشيخوخة بمزيد من الحنو والترفق والإكرام والتوقير، فهي المرحلة التي يجنيان فيها ثمار الكدح، ويتوّجان بتاج الكفاح ويجزيان جزاء الجهاد والدأب. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[2].

وتلك مشاعر الفطرة نحو من لم يُشب إحسانهما غرض ولم يبغها بجهادهما أجراً، بل بذلا الرعاية الموصولة والحنان الغامر قربةً وفطرة.

فلا أقل من التقدير والعرفان، حفظاً على الوفاء، وصيانة للإنسانية من آفات الجحود والنكران.

لقد كان حق الوالدين من العهود الخالدة التي أخذ الله بها الميثاق وكرر بها الوصاة، ولعن من أجلها الناكثين الغادرين.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3].

وهذا يعظم حرمة الأبوين ويهول إزعاجهما والعدوان عليهما. ولذا كان

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

عقوق الوالدين وجحد إحسانهما من كبائر الذنوب التي لا تنبغي لمسلم... إذ هو قرب من الشرك بالله...

قال النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله وعقوق الوالدين...**» رواه البخاري.

والفشل في الظفر برضا الوالدين من دلائل الخسران والبوار، إذ أن رضا الوالدين من رضا الله، وسخطهما من سخطه، وحسبك بهذا قدسية وجلالاً...

وفي الحديث: «**رغم أنف من أدرك والديه عند الكِبَر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة**» رواه مسلم والترمذي. ما أجل ذلك.

إن رضاهما طريق للجنة، فإذا حازه الولد فقد بلغ... فليعرف الأبناء الطريق إلى رضوان الله.

وقد اختص الإسلام الأم بتأكيد الوصاة، حتى لا يستهان بحقها وهي ذات الفضل والتحمل التي لا يقابل جهدها بشكر ولا يقدر بجزاء.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

إن الولد جزء من الأم، حملته في الأحشاء وغذته من الغذاء، فلما خرج إلى الدنيا حضنته وسهرت عليه وربطت حياتها به، تتحمل الأثقال وتنهض بالأحمال عن رضا وفرحة.

فهل يسوغ أن يذهل الإنسان عن تلك المضحية من أجله المنهكة في سبيله.. وهل يهون عليه كفاحها وضناها..؟! لذا نبه القرآن على تلك المرحلة التي لا يعيها الإنسان، وإن كانت أهم مراحل عمره طرّاً وأخطرها، ولفته إلى ما فيها من بذل وفداء، حتى يضع ذلك أمام عينيه وينظر إلى أمه من خلاله.

لقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**». رواه البخاري.

ذلك لأن الإنسان يرى جهد أبيه في سبيله ورعايته له وإنفاقه عليه، ولكنه لا يرى حمل أمه له وقيامها عليه في مهده، فاحتاجت الأم إلى تأكيد الوصية، وتثبيت الحق.

كما جعل الإسلام إرضاء الأم وإيناسها ورحمتها طريقاً إلى الجنة.. «**الجنة تحت أقدام الأمهات**» رواه النسائي. والناس بخير ما عرفوا حق الأمهات..

فإن ربهم يكره أن تنطمس بصائرهم وتجحد قلوبهم.. وذلك لا يستقيم مع الإيمان ولا يتفق مع عهده. عن المغيرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات**..» رواه البخاري. والزمن الذي يفشو فيه عقوق الأمهات والقسوة عليهن والغفلة عن حقوقهن هو زمن الفناء، الذي يجفُّ فيه الخير ويفيض الإيمان.

فقد ذكر الرسول من علامات الساعة: «**أن تلد الأمة ربّتها**» أي تلد المرأة من يعاملها معاملة السيد لجاريته!. وهذا تحذير من الاستطالة وإرهاب من العدوان. لقد بلغ الإسلام في تقرير حق الوالدين قدراً رفيعاً من الرحمة والكرامة والوفاء.

ومن ذلك إيجاب الإحسان إليها ولو مشركين، بل ولو بلغا مرحلة الدعوة إلى الكفر وحمل الابن عليه.

فلا يمنع كفرهما من الإحسان إليهما، ولا يحمل على مضارتهما وجحد حقهما.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1]. وسألت الرسول أسماء بنت أبي بكر: إن أمي زارتني وهي راغبة، أفأصلها؟ - وكانت أمها مشركة -. فقال: «**صِلي أمك**» رواه البخاري.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

وهذا هَدْي رائع، يدل على مدى رعاية الإسلام للأبوة والأمومة وحرصه على برّهما وشكرهما. وهو أيضاً دليل على إنسانية هذا الدين وتأكيده لعلائق البر والوفاء.